سالم حميش

تلك أيامي وهذه شذراتي

... فحسبكُ ما وجدتني عليه: سفرُ العوزِ أنا/ولكنني عينُ التجلي/لي عندَ الفعلِ مقامٌ/وغيرهُ عند التملي/لي عندَ احمرارِ الشوقِ مقامٌ/وغيرهُ عندَ التّرويّ/فانهضْ وسقْ أحاديثكَ وأسلمْ وجهك للمطرِ/وتجرّدْ للوعي كثيراً/ معرضاً عن الغمِّ والسقمِ/وتجردْ للخفةِ في الفلكِ الأكبرِ: إنَّ رفيقكَ اليومَ ميّالٌ إلى اللطيفِ الظلِّ والروح/إلى المُناظِرِ المتفهِّمِ!

* * *

أيّامَ تصدّعي وانحساري يتنابني حلمُ ارتداءِ الخرقةِ أو جلدِ الدُّبِّ والذهابِ إلى غابةٍ عذراء/أتوحشُ فيها وأُمضي ما تبقّى من أعماري/بينَ أوقاتٍ لا تتركُ فرصةً لانهياري: وقتٌ لنصبِ الكمائنِ للأعداء/وقتٌ لاصطيادِ أقواتي/وقتٌ لاغتصابِ ونفخِ الأناثِ/وقتٌ للهضمِ ورمقِ مُجرياتِ السماء/ووقتٌ للسهّو أو النومِ بعينٍ واحدةٍ داخلَ غاري...

* * *

حيالَ علوِّ الجليدِ وانتكاسِ الشموس/حيالَ اندلاعِ القرِّ والفتورِ بين النفوس/ليس لي يا خالقَ العناصرِ الأربعة/ليسَ لي ما أعطيهِ إلا بقايا من كوامني اليانعة/أو من أكمامِ دفئي خافقةً متنطعة.

* * *

لمّا خصّني الدهرُ بالدللِ وحنّكني/أصبحتُ ـ واحسرتاه! ـ قاب قوسين من توديعِ الحياة/أو ـ قلْ ـ تلقّيها ورماً عضالاً أو خردلةً/أو ـ قلْ ـ تحرّيها بعينِ من لا حُبَّ ولا لبَّ له.

* * *

وحقِّ المستكبرِ المعبودْ/لقد رأيتُ الأوهامَ شتّى متكثره/ حتّى لمستها لمساً عندَ سواد الجمهرةْ/وبتُّ أرقبها في حيِّز الوجودْ/بل وأرصدها متصدرةً بينهم معنى الوجود.

* * *

يا مالك الصولةِ والعزّةْ/قد عرفتني وأدركتني عبداً حنيفاً شيمتُهُ السعيُ/أسعى إلى تغييرِ المناكرِ باليدين فلا أستطيع/ثم أسعى بلساني فلا أستطيع/ثم أسعى بقلبي فيعتريه ضعفٌ يهدِّدُ بالسّكتةْ.

* * *

هكذا خُلقتُ فما حيلتي!/وأنا متى شددت لأي أمرٍ خطيرٍ حزامه/عصفت بي رغباتي في التسكع بين أحضانِ الغواني/مكسراً ما حولي من الأواني/عصفت بي رغباتي في استحلاء الفراغِ وفقدان الأماني/فهل من لبيبٍ يدركني أو يمطرني بالتّهاني؟

* * *

من وحيِ لياليَّ البيضاء/تأتي أفكاري وأبهاها فكيفَ تعجبونَ من مدحها لأفانينِ النومِ والإرجاء.

* * *

والسماء وما بناها والأرض وما طحاها/إن من الدقائق

والمطايا ومن اللّمع والخفايا ما إن أدنو من حماها حتى يضرب الله على صماخي/فأبقى وحيداً أبرطم كالأبله المخمورْ/أو أصيخُ السمعَ إلى جّنيات البحورْ/يصفّرن كثيراً ويزغردن للضرب على رضوخي.

* * *

في زاويةٍ لا لغط فيها ولا التباسْ/اجلس كما تشاء واضعاً رأسك مدةً خارجَ أسوار الدَّبِّ والدِّحاسْ/ثم فكّرْ مليّاً في دوائر الزمانِ على الخلائق/حتى إذا لويتَ على معنىً دقيقٍ أو سرٍّ حقيقْ/حرِّرهُ بالقلم الأمضى على سعفِ النخيلْ/أو جلدٍ رقيق/وإن لم تستطع فاجهرْ بهِ في جمعٍ حفيلْ/وانتظرْ ما قد يأتي.

* * *

إذا أردتَ من الدّوارِ الأعظمِ حِصَّهْ/أو قدراً بليغاً منَ الشقيقهْ/فاحشرْ في بوتقاتِ الوقتِ ذهنكَ كلَّهُ/وانظرْ مليّاً في زحمةِ الأيامِ والأعوامِ المتكدِّسه/سترى كرَّ «كان» هوةً شامخةً سحيقهْ/يبتلعُ الأحداثَ تباعاً والأحوالَ اندثارا/يقلبُ الأشياءَ قاطبةً إلى عدمٍ أو بقايا متكلِّسه/ستراهُ يردُّ الأحاسيس والوِجادَ كلّها ذراتِ رمادٍ أو غبارا.

(قد أحسنَ العربُ القدامى صنعاً لمّا سموا الزمانَ دهراً وسبوا طاقتهُ في الجولان والصولة).

* * *

عثرتُ في الحبِّ على نصٍّ لا عنوانَ ولا ربَّ له/أخذتهُ بقوةٍ فحرثتُ ولاحقتُ الإحاله/حتّى إذا نهلتُ منهُ على طولِ خلاياي/سميتهُ نصَّ النصوصِ وحرَّ الوله/وطويته طيّاً على وقع رضايْ/ثمَّ نزلتُ في ذواتهنَّ بثقلي كلِّهِ والحواس/نزلتُ بين الدقائق والمجملات/أبحثُ عن حقيقتي أو معنايْ/فما وجدتُ في متمِّ كلِّ ضمٍّ وشَدٍّ وفي آخر كلِّ مخضٍ أو عراكْ/ما وجدت ـ والله شاهدٌ ـ إلا اندفاعاتي ورؤايْ/قلتُ مولياً وجهي نحوَ البحر: الحياةُ دفعٌ وتوهيمٌ إلى أن يطيبَ وقتُ التخلي أو تدقَّ ساعةُ الفكاك.

* * *

الذكرُ ولأنثى!

كلاهما يقوم مقام الموجب والسالب إما تناوباً أو بتحكيم المخالب/ثمَّ بينهما تياراتٌ شتّى تمرُّ بلفظاتٍ متفاوتةِ القوة/هذا كلُّ ما في شلالاتِ الكرهِ والمحبة/هذا كلّ ما بين الذّكرِ والأنثى/والبقية (يا عيني على البقية!) تلويناتٌ لا تغيرُ من جوهرِ الدِّفقِ نقطة/جزيئاتٌ لا تنالُ من الأصلِ خافيه.

* * *

وحقِّ عشتروت/وكلِّ إلهة لا تبلى ولا تفوت/إن حبيبتي لَمِنَ النفاثاتِ في العقدِ/الناظراتِ في عظامِ الإنسِ والحوت/لذا تراني لا أقرئها سلامي إلاَّ متختِّما باليَاقوت/ولا أجالسها إلا وآياتُ الكرسيِّ ملء جيبوبي وأكمامي/ولا أبيتُ في حضنها مدججاً بأحرازِ منْ لهُ الملكُ والملكوت.

* * *

برِحَ الخفاءُ يا هذا
واتّسعَ الوعيُ لليقظةِ كلِّها
فلا وصلَ ولا وصالَ
ولا نفسٌ تأتيكَ لُقياها
إلا بَرْقاً خُلَّباً أو رذاذا
الحالُ كما ترى يا هذا
أنّكَ الكَمُّ المنفصِلُ
يجتازُ بينَ الخلقِ وينفعِلُ
ينحازُ في انجرافاتِ الوقتِ ثمَّ يرتحلُ
فاسلكْ إذن يا هذا ودُرْ في منحناكَ كاتماً شوقَكَ بينَ الضّلوعْ
واعلكْ ما شئتَ منَ المدى
إنما نصيبُكَ منهُ خلاءٌ مقفلُ
وارتعْ فيهِ مندلعاً تجرّكَ رجّاتُك والصُّدوعْ.